خطبة بعنوان:

مكابدة الإنسان للحياة

وقوله تعالى)) لقد خلقنا الإنسان في كبد))

✍ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

عباد الله:

يقول الله في كتابه الكريم: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ }[البلد:1-4]

نقف معكم في هذا اليوم المبارك وقفات حول آية من هذا السورة المباركة ونتأمل فيها ونستنبط بعض الحِكم والفوائد منها وهي قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ } وبعض ا لآيات المتعلقة فيها.

أقسم الله في هذه السورة المباركة بمكة المكرمة التي هي أفضل البلدان على الإطلاق خصوصا وقت حلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها وأقسم سبحانه بكل والد وبكل مولود والله تعالى له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته فأقسم بهذه الأمور على أن الإنسان في مكابدته لهذه الحياة.

فإنه في كبد وفي معاناة وفي مشقة منذ أن كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى نهاية مراحله في بطن أمه, ثم مكابدة عند الولا دة ثم الرضاعة ثم الفطام ثم مكابدة الطفولة ثم الشباب ثم كد المعيشة ثم مكابدة الزواج وتربية الأولاد,وهومع هذا يكابد المصائب والفقر والمرض والفتن والهرم والكبر والموت وسكراته والقبر وضمته وأهوال يوم القيامة إلى أن يكون مستقره إما إلى جنة وإما إلى نار.

"لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَد"

ولنأخذ أقوال المفسرين حول هذه الآية ثم نقف وقفات حولها ثم نتطرق إلى بعض المخارج والحلول المسلية للإنسان التي تخفف من هذه المكابدة وهذه المعاناة بإذن الله.

والكبَد هو العناء وهو من المكابدة يقال كابدت الشيء إذا قاسيته كما قال أهل اللغة .

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: "لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَد" قَالَ مُجَاهِدٌ: {فِي كَبَدٍ} نُطْفَةٌ، ثُمّ عَلَقَةٌ، ثُمّ مُضْغَةٌ يَتَكَبّدُ فِي الْخَلْقِ -قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا، وَمَعِيشَتُهُ كُرْهٌ، فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ. اهـ

وقال المفسر البغوي رحمه الله: قال ابْنِ عَبّاسٍ: (في كبد) في نصب ,فِي شِدّةِ خَلْقٍ ,حمله, وولادته, ورضاعه، وفطامه, ونبت أسنانه. وقال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال قتادة:(في كبد) أي: مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا.

اهـ

وقال المفسر السعدي رحمه الله: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد. اهـ

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)

قال المفسر الطبري رحمه الله: قال: يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة. وقال الحسن: ما خلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وإنه لأضعف المخلوقات وقال يكابد الشكر عند السراء ويكابد الصبر عند الضراء لأنه لا يخلوا من أحدهما. ا هـ

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)

قال المفسر القرطبي رحمه الله: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: أَوّلُ مَا يُكَابِدُ قَطْعَ سُرّتِهِ، ثُمّ إذا قُمِطَ قِمَاطًا، وَشُدّ رِبَاطًا، يُكَابِدُ الضّيِقَ وَالتّعَبَ، ثُمّ يُكَابِدُ الِارْتِضَاعَ، وَلَوْ فَاتَهُ لَضَاعَ، ثُمّ يُكَابِدُ نَبْتَ أَسْنَانِهِ، وَتَحَرّكَ لِسَانِهِ، ثُمّ يُكَابِدُ الْفِطَامَ، الّذِي هُوَ أَشَدّ مِنَ اللّطَامِ، ثُمّ يُكَابِدُ الْخِتَانَ، وَالْأَوْجَاعَ وَالْأَحْزَانَ، ثُمّ يُكَابِدُ الْمُعَلّمَ وَصَوْلَتَهُ، وَالْمُؤَدّبَ وَسِيَاسَتَهُ، وَالْأُسْتَاذَ وَهَيْبَتَهُ، ثُمّ يُكَابِدُ شُغْلَ التّزْوِيجِ وَالتّعْجِيلَ فِيهِ ، ثُمّ يُكَابِدُ شُغْلَ الْأَوْلَادِ، وَالْخَدَمِ وَالْأَجْنَادِ، ثُمّ يُكَابِدُ شُغْلَ الدّورِ، وَبِنَاءِ الْقُصُورِ، ثُمّ الْكِبَرَ وَالْهَرَمَ،

وَضَعْفَ الرُّكْبَةِ وَالْقَدَمِ، فِي مَصَائِبَ يَكْثُرُ تَعْدَادُهَا، وَتَوَائِبَ يَطُولُ إِيرَادُهَا، مِنْ صُدَاعِ الرَّأْسِ، وَوَجَعِ الْأَضْرَاسِ، وَرَمَدِ الْعَيْنِ، وَغَمِّ الدَّيْنِ، وَوَجَعِ السِّنِّ، وَأَلَمِ الْأُذُنِ. وَيُكَابِدُ مِحَنًا فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ، مِثْلَ الضَّرْبِ وَالْحَبْسِ، وَلَا يَمْضِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا يُقَاسِي فِيهِ شِدَّةً، وَلَا يُكَابِدُ إِلَّا مَشَقَّةً، ثُمَّ الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الْمَلَكِ، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ وَظُلْمَتَهُ، ثُمَّ الْبَعْثَ وَالْعَرْضَ عَلَى اللَّهِ، إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ الْقَرَارُ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ". اهـ

إذن لا راحة لأحد في هذه الدنيا ,فلا تظن يا ابن آدم أنك تسعد فيها, إنما السعادة كل السعادة هي في الجنة فلا تضيعها بالبعد عن أسبابها فإن من الناس من قد كُتب عليه الشقاء في الدنيا وا لأخرى بسب عصيانه للمولى جل وعلا وبعده عن أسباب الفوز و الرضا فالسعيد من اتقى وعمل للأخرى ولازم التقوى وسار على الهدى ,فهؤلاء هم أصحاب النهى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} [النازعات:26]

ونقف معكم وقفات مع هذه الآية وبعض الآيات المتعلقة بها من السورة نفسها.

الوقفة الأولى:

أخبر الله سبحانه وتعالى أن الإنسان خلق في كبد, ومنها مكابدة المعيشة والكد في تحصيلها وأن الإنسان يعاني ما يعاني من الأتعاب والأسفار والسهر في جمع المال ,ومع هذا كثير من الناس يصرف ماله في غير مرضات الله وفي المحرمات ويبخل عما أوجب الله عليه ويتكبر به على المساكين ولا ينفقه في سبيل الله, وفي أبواب الخير ويظن أنه لن يقدرعليه أحد, وأنه لن يحاسب عليه ويأمن من زوال ماله وأنه محفوظ لن يذهب ,فيأمن من مكر الله, ولهذا قال تعالى {أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَد * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا ً لُبَدًا}[البلد:5-6] وغفل عن مراقبة الله له {أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَد} ونسي أن المال مال الله وان الله هو الذي رزقه هذا المال وأن الله سيحاسبه عليه يوم القيامة فقد روى الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّه ِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ،

وعن شبابه فيما أبلاه وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ".

وروى البخاري عن خولة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ» فمن أنفقه في الباطل فقد أهلكه ولذا قال: {أَهْلَكْتُ مَالا ً لُبَدًا} أي كثيرا.

قال المفسر السعدي رحمه الله: وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب. اهـ

وفيها إشارة إلى أن كثرة المال ليس سببا للراحة والسعادة وإنما تكون السعادة بكثرة الطاعات والأعمال الصالحة والإيمان بالله واليوم الآخر فمهما كثرت أموال العبد فهو لا يزال في كبد.

الوقفة الثانية:

أخبر تعالى أن الإنسان في كبد ومع هذا يذكره ويسليه أنه في نعم لا تقوم لها الدنيا كالعينين واللسان والشفتين والعقل و الفؤاد واليدين والرجلين وغير ذلك مما ميزه الله على غيره من المخلوقات, فيجب على العبد أن يشكر الله على هذه النعم فيظفر بالمزيد من الأجر والثواب وإن لم يفعل وصرفها في المعاصي زادته مكابدة ونكدا في الدنيا والآخرة فأشار الله سبحانه إلى هذه النعم بقوله: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْن * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْن }[البلد:8-9]

الوقفة الثالثة:

أخبر الله تعالى أن الإنسان خلق في كبد ثم حذره أن يستمر في

المكابدة في الدنيا والآخرة فأرشده إلى بعض الأعمال التي تخفف عنه العناء يوم القيامة ويعتق بها من جهنم مثل إطعام الفقراء والمساكين وعتق الرقاب قال تعالى: {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ }[البلد:11-16]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} قَالَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} هُوَ سَبْعُونَ دَرَجَةً فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} قَالَ: عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا قُحْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ قَتَادَةُ {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ} ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحَامِهَا. فَقَالَ: {فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ} وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: {اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} أَيْ: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ. اهـ

وقال السعدي: أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته وهذه العقبة شديدة عليه. اهـ

وقوله تعالى: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ *يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } [البلد : 14 - 16]

قال المفسر السعدي رحمه الله:" ذِي مَسْغَبَةٍ" أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة. {يَتِيمًا ذَا

مَقْرَبَةٍ} أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة. {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة. اهـ

الوقفة الرابعة:

أخبر سبحانه وتعالى أن الإنسان في مكابدة للحياة ثم أرشده إلى بعض الحلول المسلية التي تخفف من عناء هذه المكابدة منها الصبر على متاعب الحياة والإيمان بأقدار الله وأن يتراحم الناس فيما بينهم وأن يرحموا الفقراء والمساكين والضعفاء و اليتامى قال تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} [البلد:17] فأمر الله سبحانه وتعالى بالا ستعانة على أمور الدنيا بالصبر والصلاة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:153]

وأمر بالتواصي بالمرحمة والتعاون على أعباء الحياة ومساعدة المحتاجين وتفريج كرباتهم فإذا كان الناس كذلك رحمهم الله فقد روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ".

وفي الآية (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)

وأخبرنا أن الصبر على أقدار الله من المسليات مع احتساب الأ

أجر والثواب فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا َ وَصَبٍ، وَلَا َ هَمٍّ وَلَا َ حُزْنٍ وَلَا َ أَذًى وَلَا َ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا يَزَالُ الْبَلَا َءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ".

الوقفة الخامسة:

أخبر الله أن الإنسان في مكابدة إما في طريق الخير وإما في طريق الشر فقال: (وهديناه النجدين) أي طريق الخير والشر, و الهدى والضلال, فبين له أن طريق الخير موصل إلى جنته ورضوانه وطريق الشر موصل إلى ناره وغضبه فأشار إلى ذلك بقوله: {أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}[البلد:18] أي أصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ويدخلون الجنة, وأشار إلى الطريق الثاني فقال {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ

الْمَشْأَمَة}[البلد:19] أي أصحاب الأعمال المشئومة وهم أصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم وهم أهل النار والعياذ ب الله {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَة} [البلد:20] أي مغلقة مطبقة عليهم لا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها أبدا,والعياذ بالله.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه

أما بعد:

فإنه لا مخرج للعبد من منغصات الدنيا ومكدراتها إلا بالأعمال الصالحة والأذكار الواردة في الكتاب والسنة والاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم

فقد أقسم تعالى في كتابه أنه من عمل الصالحات فإنه سيحييه الحياة الطيبة السعيدة فقال: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون}[النحل:97]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ

أتهُمْ فَسرّوهَا بِالرّزْقِ الْحَلَالِ الطّيّبِ.

وعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه فسرها بالقناعة.

وكذا قال ابن عباس، وعِكْرِمة، ووهب بن منبه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنها السعادة.

وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة: لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة.

وقال الضحاك: هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا، وقال الضحاك أيضا: هي العمل بالطاعة والانشراح بها.

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله" اهـ

وقال المفسر السعدي رحمه الله: وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب. اهـ

ومن المسليات الاستجابة لله ورسوله أي العمل بالكتاب والسنة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال:24] فحياة القلوب بالاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ,والإعراض عنهما قسوة للقلوب ومن أسباب فسادها.

قال المفسر السعدي رحمه الله: وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح

بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم ، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء. اهـ

ومن المسليات لهموم الدنيا ومكابدها ذكر الله عز وجل فمن ذكر الله ذكره ويسر أمره وفرج همه قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب}[الرعد:28]

ويدخل تحت ذكر الله قراءة القرآن فإنه أهم أسباب علاج القلوب وسلامتها وسعادة الأرواح وراحة الأبدان, فبقراءة القرءآن تنسى الهموم وتكشف الغموم وتفرج الكربات وتصلح الأحوال بإذن الله تبارك وتعالى,قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِين} [يونس:57] وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[الإسراء:82]

قال المفسر السعدي رحمه الله: فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة . فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي

تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. اهـ

والعكس فإن الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والبعد عن الأعمال الصالحة من أسباب الشقاء و الضيق وتزيد المكابدة في الدنيا. قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}[طه:124-125]

وقال تعالى: {أَفَمَن شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإِ سْلا مِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلا لٍ مُبِينٍ * اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللّهِ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد}[الزمر:22-23]

قال المفسر البغوي رحمه الله: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ، وَمَا غَضِبَ اللّهُ عَزّ وجلّ على قوم إلّا نزع منهم الرحمة. اهـ

وختاما أبشر أيها المؤمن الصابر المحتسب المطيع لله بامتثال

أوامره واجتناب نواهيه فإن هذه المكابدة وهذه المصائب و المتاعب والكربات ستنسى يوم القيامة بأول قدم يضعه المؤمن في الجنة وبغمسة واحدة يغمسها في الجنة ولا يأمن العاصي الفاجر البعيد عن الله الغافل عن ذكر الله الذي تسلى بمعاصي الله وارتكب ما حرم الله فإن هذه اللذات كلها منسية بغمسة واحدة في جهنم والعياذ بالله.

فقد روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ "

اللهم فرج هم المهمومين ويسر عسر المعسرين ونفس كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ومن كل عسر يسرى

والحمدلله رب العالمين.